

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثاني عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] . ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع. ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] . ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] . ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

فهنا يتكلم ويبين المصنف رحمه الله تعالى ما يتعلق بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ . وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ هي قرين لشهادة أن لا إله إلا الله ، فالله عز وجل لا يقبل من العباد «لا إله إلا الله» إلا مقرونًا بها «محمد رسول الله» ﷺ ، فهي قرينة كلمة التوحيد . والله عز وجل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم قرن بين محبة الله ومحبته عليه الصلاة والسلام، وطاعة الله وطاعته، ومعصية الله جل وعلا ومعصيته ، وقرن الشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ بالشهادة أن لا إله إلا الله .

و«لا إله إلا الله» دالة على الوجدانية ؛ أفراد الله جل وعلا بالتوحيد ، و«محمدًا رسول الله» ﷺ دالة على تجريده ﷺ بالطاعة ؛ فالعبادة لله جل وعلا ، ولا يُعبد الله جل وعلا إلا بما شرع وجاء عن رسوله صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا فإن الدين كله قائم على الشهادتين ، وشهادة أن لا إله إلا الله تدل على الإخلاص ، وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ تدل على الاتباع ، والله جل وعلا لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة لوجهه موافقة لهدي نبيه ﷺ ؛ فمن جاء بالإخلاص دون المتابعة أو بالمتابعة دون الإخلاص لم يقبل الله تبارك وتعالى منه عمله ولم يقبل منه تعالى طاعته . فالدين كله قائم على الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ولهذا بدأ النبي ﷺ بالشهادتين عندما ذكر مباني الإسلام، قال : ((بني

الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)) ، وكذلك في حديث جبريل قال : «أخبرني عن الإسلام؟» قال : ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)). فالشهادة للنبي عليه الصلاة والسلام بالرسالة هي قرين للشهادة لله تبارك وتعالى بالوحدانية .

ولهذا بعض أهل العلم بهذا الاعتبار وبهذا الملاحظ قال : التوحيد نوعان: توحيد المرسل وتوحيد المرسل ؛ توحيد المرسل وهو الله بأن يفرد جل وعلا بالعبادة وأن يُخلص الدين له ، وتوحيد المرسل وهو النبي عليه الصلاة والسلام بأن لا يُعبد الله جل وعلا إلا بما جاء عنه عليه الصلاة والسلام ؛ فيكون مدلول الشهادتين : أن لا يُعبد إلا الله ، وأن لا يعبد الله جل وعلا إلا بما شرع وجاء عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ)) ؛ محمد ﷺ هو النبي الكريم الذي ختم الله جل وعلا به النبوات فلا نبي بعده : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((لا نبي بعدي)) ؛ فيه حُتِمت النبوات والرسالات فلا نبي بعده عليه الصلاة والسلام ولا رسول . وهو ﷺ سيد الأولين والآخرين، سيد ولد آدم أجمعين كما قال ﷺ : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)). وهو عليه الصلاة والسلام أولى بكل مؤمن من نفسه كما قال جل وعلا : ﴿التَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ومعنى ذلك : أن تكون محبته مقدمة على محبة النفس وأن تكون طاعته عليه الصلاة والسلام مقدمة على طاعة النفس ، لأنه أولى بنفسك منك ، وأحرص على نفسك منك ؛ فوجب عليك أن تحبه محبةً مقدمةً على محبتك لنفسك ، وأن تطيعه طاعةً مقدمة على طاعتك لنفسك ، قال عليه الصلاة والسلام : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) ، وقال لعمر : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه)) ؛ ولهذا وجب على كل مسلم أن يقدم محبة النبي عليه الصلاة والسلام على محبته لنفسه ، والله جل وعلا قرن محبة النبي ﷺ بمحبته ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة: ٢٤] ، في الحديث قال عليه الصلاة والسلام : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)).

والشهادة له عليه الصلاة والسلام بأنه رسول الله يأتي تقريرها وبيان معناها عند المصنف رحمه الله تعالى.

بدأ بذكر الدليل قال : ((دليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾))؛ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ أي أرسل إليكم وبعث إليكم رسول وهو محمد ﷺ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي منكم تعرفونه ليس من الملائكة ولا من الجن بل هو بشر مثلكم تعرفون نسبه وتعرفون حسبه وتعرفون خلقه وأدبه عليه الصلاة والسلام . ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فهو عليه الصلاة والسلام رسول من البشر لا من الملائكة ولا من الجن ، من البشر نشأ بين الناس وعاش مثل الناس يأكل الطعام مثلهم ويشرب الشراب مثلهم لكن الله سبحانه وتعالى شرفه على البشر بتتميم مقام العبودية وشرفه على البشر بأن اصطفاه واجتباؤه وجعله نبياً رسولاً وجعله سيد ولد آدم أجمعين؛ ولهذا قال الله في القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] ، فهو عليه الصلاة والسلام بشر مثله مثل البشر له أم وله أب وحاله كحال البشر لكنه يوحى إليه ، يأتيه الوحي من رب العالمين ، بعثه الله عز وجل وأرسله وجعله سراجاً منيراً وداعياً إلى الله بإذنه وجعله بشيراً ونذيراً .

قال : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ؛ أي من صفته ونعته صلوات الله وسلامه عليه أنه يشق عليه الأمر الذي فيه مشقة عليكم وعنيت ، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه صلوات الله وسلامه عليه كل أمر فيه عنيت على الناس ، ولهذا كان دينه عليه الصلاة والسلام دين السماحة واليسر ، قال عليه الصلاة والسلام : ((بعثت بالحنيفية السمحة)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)) ، وكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً حليماً متواضعاً ليناً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكُنْتَ فَرْطًا غَلِيظًا لَافِتًا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

قال : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي حريص على هدايتكم وعلى ما فيه سعادتكم ونجاتكم من النار ومن سخط الجبار -عليه الصلاة والسلام- ، وجاهد عليه الصلاة والسلام في الله حق جهاده نصحاً للعباد ورحمة بالخلق ودعوة إلى الله عز وجل واجتهاداً في إنقاذهم من النار ومن سخط الله جل وعلا ، يقابل إساءة من أساء إليه بالصفح وعدوان من اعتدى عليه بالعفو ، ويلين الجانب ويخفض الجناح ، ويناصح الناس حرصاً عليه الصلاة والسلام عليهم . ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي على صلاحكم وهدايتكم واستقامتكم ونجاتكم من النار وسخط الجبار جل وعلا .

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي من صفته عليه الصلاة والسلام أنه صاحب رأفة ورحمة بعباد الله المؤمنين

لما ذكر المصنف رحمه الله تعالى الدليل بين معنى الشهادة ، وينبغي هنا أن يُعلم أن شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ ليست نافعة لقائلها إلا إذا عرف معناها وحقق مقتضاها ؛ فبذلك يكون من أهلها ، نظير ما سبق معنا في شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنها لا تنفع صاحبها إلا إذا عرف مدلولها وحقق ما تقتضيه من الإخلاص لله جل وعلا والتوحيد والبراءة من الشرك ، وكذلك الشأن في شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ ؛ لا بد من فهم ما دلت عليه من وجوب طاعته ، ولزوم ما جاء به ، وتصديق أخباره ، والبعد عن كل ما نهي عنه عليه الصلاة والسلام ، وأن لا يُعبد الله جل وعلا إلا بما جاء عنه ﷺ .

فلا بد من فهم معنى الشهادة أما أن يكون الإنسان ينطقها نطقاً مجرداً دون فهم ولا عمل لا يكون بذلك من أهلها ، لا بد من فهم معناها ولا بد من تحقيق مقتضاها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] الرسل بُعثوا ليطاعوا ، لم يبعثوا فقط ليقال هم رسل وتنتهي القضية عند هذا الحد ، أو نحن نصدق بأنه رسول ، وكم من كافر آمن بأن النبي ﷺ مرسل من الله وصدق أنه مرسل لكن لم يجب دعوته إما كبيراً أو عناداً أو غير ذلك من الأغراض ، فقد يدرك الإنسان أنه رسول عليه الصلاة والسلام مرسل حقاً من ربه جل وعلا لكن قد يمتنع من الاستجابة ، وقد يعلم أن دينه دين حق ولا يستجيب ؛ مثل ما قال عمه : ولقد علمتُ بأن دين مُحَمَّد من خير أديان البرية دينا إذا طالما أنك علمت لماذا لا تعلن إسلامك واستجابتك وتقبل هذا الدين الذي جاء به؟ يجب قائلًا مبيناً المانع :

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحاً بذلك مبيناً

يقول أنا أعرف أن دينه دين حق وأنه رسول من عند الله لكن أخشى الملامة وأخشى سبة قريش لي وأخشى أن يتكلم الناس فيّ ؛ هذا الذي منعه ، وجلس النبي عليه الصلاة والسلام عند رأسه عندما حضرته الوفاة يقول له : ((يا عم قل «لا إله إلا الله» كلمة أحاج لك بها عند الله)) ، ومات وهو يقول هو على دين عبد المطلب ، وحزن النبي عليه الصلاة والسلام وأنزل الله تسلياً له : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفصل: ٥٦] . الشاهد أن في شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ لا بد من الفهم لمعنى هذه الشهادة ، ولا بد أيضاً من تحقيق ما دلت عليه.

قال رحمه الله : ((ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهي وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع)) ؛ عدها بيدك أربعة هذه معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، ولا بد من هذه الأربعة مجتمعة ، لا بد أن يحققها العبد ليكون فعلاً صادقاً بالشهادة وليكون فعلاً من أهل الشهادة بأن محمداً رسول الله ﷺ .

❖ الأمر الأول : ((طاعته فيما أمر))؛ أمر عليه الصلاة والسلام بأوامر كثيرة ، وهذه الأوامر جاءت في القرآن وجاءت في السنة ، وأعظم شيء أمر به عليه الصلاة والسلام التوحيد ، وأعظم شيء نهي عنه الشرك بالله ، وأمر بالصلاة ، وأمر بالصيام ، وأمر بالحج ، أمر بالزكاة ، أمر ببر الوالدين إلى غير ذلك من الأوامر التي جاءت عنه وجاء بها عليه الصلاة والسلام في كتاب الله وسنته صلوات الله وسلامه عليه؛ فلا بد من طاعته ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّقُوا﴾ [الحشر: ٧] ((ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)) ، (صلي قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب)) يجب أن يطاع عليه الصلاة والسلام فيما يأمر به على قدر الاستطاعة : ﴿لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] . قال : ((طاعته فيما أمر)) هذا الأمر الأول .

❖ الأمر الثاني : ((تصديقه فيما أخبر)) أخبر بأمور كثيرة ؛ أخبر أولاً عن الله ، وذكر أسماء حسنى لله ، وذكر صفات عظيمة لله ، وذكر أفعالاً جليلة لله تبارك وتعالى ، ذكر الملائكة وذكر أسماء لهم وأخبار وأوصاف وأعمال ووظائف ، ذكر اليوم الآخر والجنة والنار وما يكون في الدار الآخرة وما يكون في القبر ، ذكر أمور كثيرة عليه الصلاة والسلام أخبر بها ، ذكر أخباراً عن الأولين وذكر أخباراً عن الآخرين وذكر أموراً بين يدي الساعة ، أشياء كثيرة عليه الصلاة والسلام ذكرها ؛ فلا يكون مؤمناً به إلا من يصدق به ﷺ في كل ما يخبر به .

روى عليه الصلاة والسلام للصحابة حديثاً قال : ((إن أحداكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نظفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بكتب أربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .)) إلى آخر الحديث ، هذا خبر صح وثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ابن مسعود رضي الله عنه لما روى الحديث ماذا قال ؟ قال : «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق» فهو عليه الصلاة والسلام صادق مصدوق لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فكل ما يخبر به وحي من الله ؛ فيجب على من شهد أنه ﷺ رسول الله أن يصدق به في كل ما يخبر به ، وأن لا يتردد في شيء من ذلك ، وألا يشك في شيء من أخباره ، بل كل ما يخبر به عليه الصلاة والسلام يُتلقى باليقين والإيمان والجزم والتصديق ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥] ، فإذا

وجد لدى الإنسان شيء من الريب أو الشك فيما يخبر به النبي عليه الصلاة والسلام خرج بذلك من شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله ، لأن من مقتضيات هذه الشهادة أن يَصَدِّقَ النبي عليه الصلاة والسلام في أخباره وأن لا يكذبه في شيء منها ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] فيصدق عليه الصلاة والسلام . هذا الأمر الثاني .

❖ الأمر الثالث : قال ((واجتناب ما عنه نهي وزجر)) ؛ اجتناب: أي البُعد والحذر مما نهي عنه وبَيِّن حرمة وذكر عقوبته والوعيد عليه ؛ فيجب على من آمن بأنه رسول من عند الله أن يجتنب ما نهي عنه صلوات الله وسلامه عليه ، قال جل وعلا : ﴿وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام : ((ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا)) ولم يقل "ما استطعتم" لماذا ؟ في الأمر قال : «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» ، وفي النهي قال : «وما نهيتكم عنه فانتهوا» ولم يقل "ما استطعتم" لماذا ؟ لأن النهي ترك ، والترك مستطاع ، لأن الأمر يحتاج إلى فعل والفعل قد يكون فيه استطاعة عليه وقد يكون ليس هناك استطاعة عليه ، مثل لو كان هناك صخرة وقيل للإنسان : احملها ، لا بد أن يقال : إن استطعت ، لأنه إن لم يكن عنده استطاعة على حملها لم يحمّلها ، لكن لو قيل له : لا تحملها هل يقال : إن استطعت؟ لأن النهي ترك والترك مستطاع ، ولهذا قال : ((ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)) ، ولهذا قال في الحديث : ((صلي قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب)) ، وفي الحج قال : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ [آل عمران: ٩٧] الحج فريضة لا تجب في العمر كله إلا مرة واحدة ولا تجب إلا على المستطيع ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ، والنهي قال : ((وما نهيتكم عنه فانتهوا)) .

ولهذا يجب على من شهد أنه رسول الله ﷺ أن يتعرف على الأمور التي نهي عنها ليجنبها ، وإذا لم يتعرف عليها كيف يجتنبها ؟ كما قال من قال : «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي!» ، ولهذا كما أننا مطالبون بمعرفة الأوامر لنفعلها فإننا كذلك مطالبون بمعرفة النواهي لنجنبها ، ولهذا ألف جماعة كبيرة من أهل العلم كتب في النواهي ، كتب في المحرمات ، كتب في الكبائر لماذا ؟ لتجنب ، كتب في البدع ؛ من أجل أن يعرفها الناس ليجنبوها ، ومن لا يعرف الشر ربما وقع فيه ، ولهذا كما أن المسلم مطالب بمعرفة الحق ليفعله ويكون من أهله فإنه أيضاً مطالب بمعرفة النواهي والمحرمات ليجنبها وليتقيها وليبتعد عنها وليتوب إلى الله جل وعلا إن وقع في شيء منها ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] .

❖ والأمر الرابع : ((وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ)) أي لا بالأهواء والبدع ، لا يعبد الله بالأهواء ، ولا يعبد الله بالبدع ، ليست العبادة كلُّ يركب رأسه ويعبد بما شاء ، لا يعبد الله إلا بما شرع . الأهواء والبدع لا تقرب من الله بل تُرد على صاحبها ، قال عليه الصلاة والسلام : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) أي مردود على صاحبه وغير مقبول منه .

ولهذا الطرق إلى الله جل وعلا كلها مسدودة إلا طريق واحد ، الطرق التي يُدعى أنها توصل إلى الله جل وعلا كلها مسدودة ، لا يوصل إلى الله جل وعلا إلا طريق واحد ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، خط عليه الصلاة والسلام خطأً مستقيماً وخط على جنبتيه خطوط وقال : ((هذا صراط الله المستقيم ، وقال هذه سبل ؛ وعلى رأس كل سبل منها شيطان يدعو إليه)) ، فالسبل كثيرة وكلها توصل إلى النار وإلى سخط الجبار ، وأما الطريق إلى الله سبحانه وتعالى فهو طريق واحد وهو طريق النبي مُحَمَّد ﷺ ، لا يقبل الله عز وجل ديناً سوى الدين الذي جاء عنه ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ، فالدين الذي يرضاه الله ويقبله من العباد ولا يرضى ديناً سواه هو الدين الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام . ولهذا من مقتضيات الشهادة ولوازمها ألا يُعبد الله إلا بما شرع ؛ أي بما جاء عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، أما أن يخترع الإنسان أعمالاً أو تختار له أعمال ثم ينشغل بها فهي لا تقربه من الله ، ولهذا الطرق المحدثه التي أحدثها الناس وأنشأوها وزعموا أنها توصل السائرين فيها إلى الله هي في الحقيقة لا توصلهم إلى الله ، لا يوصل إلى الله تبارك وتعالى إلا طريق مُحَمَّد ﷺ عليه الصلاة والسلام ؛ فمن أراد لنفسه النجاة والفوز ونيل رضا الله تبارك وتعالى فليلزم نهج النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وليتمسك بهديه وليعتصم بسنته وليهتدي بهداه ؛ ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يؤكد على هذا المعنى كثيراً ، وكان في كل مرة يخطب الناس يوم الجمعة يقول : ((أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)) ، يحذر من الضلالات والبدع ولأهواء التي تحرف الناس عن الجادة السوية وعن صراط الله المستقيم . قال : ((وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ)) .

فهذه أمور أربعة ؛ من شهد أن مُحَمَّد ﷺ رسول الله لن يكون من أهل هذه الشهادة حقاً وصدقاً إلا إذا كان من أهل هذه الأمور الأربعة . وإذا تأملت في هذه الأمور التي ذكر رحمه الله ، وتأملت في الشيء

الذي جاء به ﷺ وهو مرسل من الله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهو مُرْسَلٌ مبعوث ، ما خلاصة ما بُعث به عليه الصلاة والسلام ؟ لو تتأمل في جميع ما جاء عنه ﷺ تجده يتلخص في أمور ثلاثة : أوامر ، ونواهي ، وأخبار . فإذا قال الإنسان : أشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله ؛ فليعلم أنه جاء بأوامر ، وجاء بنواهي ، وجاء بأخبار . فالأوامر تُفعل ، والأخبار تُصدق ، والنواهي يُتنبه عنها وتجتنب . ومن أراد أن يعبد الله ويتقرب إليه فليكن تقربه إلى الله بما جاء عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا هذا التعريف للشهادة هو أجمع تعريف ، ويُصحح كل مسلم أن يحفظ هذا التعريف ، ليس فقط يحفظه بل يحافظ عليه ؛ يحفظه ويحافظ عليه ويجتهد حياته بأن يحقق ذلك ؛ قال : ((طاعته فيما أَمَرَ، وتصديقه فيما أَخْبَرَ، واجتناب ما عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ)).

ثم بعد ذلك انتقل رحمه الله تعالى للكلام على الركنين الآخرين من أركان الإسلام وهما الصلاة والزكاة فقال : ((ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد)) ؛ لما كان الدليل الذي ساقه دليلاً للصلاة والزكاة ومشتماً على تفسير للتوحيد نبه على ذلك، مع أنه سبق أن أشار رحمه الله إلى بعض الآيات التي اشتملت على تفسير التوحيد، أشار إلى قوله تعالى : ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤] ؛ فهذه آية ثلاثة تفسر التوحيد إضافة إلى دلالتها على ركنين من أركان الإسلام وهما الصلاة والزكاة .

قال : ((ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾)) ؛ قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي ما أمر الله جل وعلا الكفار والمشركين إلا بإخلاص الدين لله وإفراده بالعبادة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أمر المشركين بذلك . ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ هذه الكلمة هي مدلول «لا إله إلا الله» وفيها تفسير لـ «لا إله إلا الله» ، لأن «لا إله إلا الله» معناها : أن لا نعبد إلا الله مخلصين له الدين . وبالأمر وقفنا على هذا المعنى في التهليل الذي يقوله المسلم دبر كل صلاة «لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه» ثم بعدها قال : «لا إله إلا الله مخلصين له الدين» . فـ «لا إله إلا الله» هي أن نعبد الله مخلصين له الدين حنفاء ، هذا هو معنى «لا إله إلا الله» : ألا نعبد إلا الله مخلصين له الدين .

قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي ما أمروا إلا بأن تكون عبادتهم لله خالصة؛ أي صافية نقية لا يراد بها إلا الله ، لا يُجعل مع الله تبارك وتعالى شريك في شيء منها .

وقوله : ﴿حُنَفَاءَ﴾ الحنيف عرفنا معناه سابقاً وهو: المائل . وإبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام الحنفاء ، والحنيفية ملة إبراهيم؛ وهي أن نعبد الله مخلصين له الدين . فقلوه ﴿حُنَفَاءَ﴾ أي: مائلين عن الشرك وعن الضلال والباطل إلى التوحيد والإخلاص وحسن الإقبال على الله تبارك وتعالى .

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أمروا إضافةً إلى التوحيد بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ؛ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة داخل تحت قوله : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أليس كذلك ؟ لأن الصلاة عبادة والزكاة عبادة فهما داخلان تحت قوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ، ومع ذلك ذُكرا وحُصا بالذكر تعظيماً لشأن هاتين العبادتين ، وهما أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، قال عليه الصلاة والسلام : ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة قرين لإقام الصلاة في كتاب الله ، ففي الغالب كلما يُذكر في القرآن إقام الصلاة يذكر معه إيتاء الزكاة ، فهي قرينة الصلاة في كتاب الله جل وعلا ، فتخصيص الصلاة والزكاة بالذكر هنا مع أنهما داخلتان في عبادة الله اهتماماً بهاتين العبادتين اللتين هما أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .

قال : ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أمر بإقامة الصلاة ، لم يقل "يصلُّوا" ! قال : «وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» ، وإقامة الصلاة يتناول المحافظة على شروطها وأركانها وواجباتها كل ذلك من إقام الصلاة المحافظة على أوقاتها . ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي يأتوا بالصلاة محافظين عليها مؤدين لها مواظبين على ذلك ، مؤدين لشروطها وأركانها وضوابطها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وقد صح عنه في الحديث أنه قال : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) .

والمراد بالصلاة هنا: الصلاة المفروضة وهي خمس صلوات افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده في اليوم واللييلة؛ الفجر : ركعتان ، والظهر أربع ، والعصر : أربع ، والمغرب : ثلاث ، والعشاء : أربع ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فالله جل وعلا افترض على عباده وكتب عليهم خمس صلوات في اليوم واللييلة ، وهذه فريضة مكتوبة على العباد ، وهي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين .

ولهذا ينبغي أن تنتبه؛ أعظم شيء تقترب إلى الله سبحانه وتعالى به بعد التوحيد: الصلوات الخمس المكتوبة؛ تقيمها محافظاً على أوقاتها على أركانها على شروطها ، وهذه الصلاة جعلت محكاً وميزاناً ، من حافظ عليها كانت عوناً له على المحافظة على غيرها من الطاعات ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ولا حظ في الإسلام لمن ضيَّع الصلاة ، ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين : «إذا أردت أن تعرف قدر الإسلام عندك فانظر إلى قدر الصلاة عندك» ؛ ميزان الصلاة ، إذا أردت أن تنظر إلى قدر الإسلام ومكانة الإسلام عندك فانظر إلى مكانة الصلاة هل أنت من أهلها ؟ هل أنت من المحافظين عليها ؟ هل أنت من المواظبين عليها ؟ من ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع . قال عليه الصلاة والسلام كما في المسند عندما ذُكرت عنده الصلاة قال : ((من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة ، وحشر مع قارون وفرعون وهامان وأمية بن خلف)) ؛ يعني يحشر مع صناديد الكفر وأئمة الباطل .

فالصلاة محك وميزان ، وهي صلة بين العبد وبين الله تبارك وتعالى ، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة لا تأخذ من الإنسان وقتاً طويلاً لكنها بركة على الإنسان في حياته وفي يومه ، اقرأ بركة الصلاة في الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وقرأ أيضاً خطورة التهاون في الصلاة وتركها : ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)) ؛ فالصلاة محك وميزان .

وإذا نظرت إلى واقع كثير من الناس تجده يُغلب على الصلاة ، والأمور التي تغلب على الصلاة كثيرة جداً ، والنبي عليه الصلاة والسلام حذَّر من أن يغلب الإنسان على صلاته قال : ((إن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)) في حديث الرؤية ، فالإنسان يُغلب على صلاته ؛ ولهذا ينبغي على الإنسان أن يتقي الله جل وعلا في هذه الصلاة وأن يحرص أن يكون من أهلها ﴿وَارْكَعُوا

مَعَ الرَّاٰكِعِيْنَ﴾ [البقرة: ٤٣] يحافظ عليها في المساجد حيث ينادى بمن مع جماعة المسلمين كما أمره الله ، محافظاً على الشروط على الأركان على الواجبات ، لا يضيع هذه الصلاة ، يجتهد أن يكون في الصلاة من أولها من تكبيرة الإحرام ، لا يُغلب على صلاته ، لا يغلب على هذه الفريضة ، أعظم ما تقترب إلى الله به الصلاة بعد التوحيد ، إذا ضاعت الصلاة ما سواها يضيع، وإذا حوفظ على الصلوات أعانته ﴿وَأَسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] .

فلهذا ينبغي على المسلم أن يعظم الصلاة وأن يكون لها في قلبه مكانة ومنزلة ، وإذا نودي للصلاة يجب النداء ؛ «حي على الصلاة حي على الفلاح» يجب النداء ولا يرده عن الصلاة أي شيء ، والآن كثير من الناس يغلب على صلاته! بعض الناس يغلبه على صلاته فنجان الشاي ، يكون أمامه الشاي ويشرب

والصلاة ينادى لها وتقام ويصلي المسلمون في المساجد وهو مغلوب محروم . وهناك من يغلبه على الصلاة المحرمات؛ يغشى المحرمات ويفعل المعاصي والآثام وينادى للصلاة فلا يجيب ، والذين يدخلون النار يوم القيامة - نار جهنم - يسألون : لم ؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المذثر: ٤٣] .

فالشاهد أن الصلاة فريضة من فرائض الإسلام ، وهي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين ، ويجب على المسلم أن يتقي الله جل وعلا في صلاته ، وأن يحافظ عليها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها كما أمره الله وكما جاء عن رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي ويؤدوا الزكاة المفروضة ، والزكاة المفروضة هو جزء يسير جداً من شيء كثير أعطاك إياه الله وتفضل الله سبحانه وتعالى عليك به ، وهي مالٌ يؤخذ من الأغنياء وصدقة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء . لما بعث الرسول معاذاً إلى اليمن قال : ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)) ، فالزكاة هي جزء قليل وقدر يسير من المال افترضه الله سبحانه وتعالى على الأغنياء الذين بلغت أموالهم النصاب ، ويخرج هذا الجزء طيبةً به نفوسهم بنفس طيبةٍ سمحة ويؤدي إلى الفقراء المحتاجين ، ويكون بركة للمال ، وبركة أيضاً في المزكي نفسه عليه وحياته زكاة له ، ولا ينقص من ماله «ما نقصت صدقة من مال» ؛ هذه الزكاة المفروضة .

قال : ﴿وَذَكَ﴾ أي الذي أمروا به في هذه الآية ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ﴾ الإشارة هنا إلى ما أمروا به هنا في هذه الآية ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي الدين القويم المستقيم الواضح البين الموصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى وجنات النعيم .

قال : ((ودليلُ الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾)) والصيام : هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في شهر رمضان المبارك . فشهر الصيام هو شهر رمضان ؛ افترض الله سبحانه وتعالى على العباد صيامه ، وهو شهرٌ يصام في كل سنة ، هذه عبادة مفروضة افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده ؛ يصومون شهراً في السنة عن الطعام وعن الشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك.

قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي فُرض عليكم الصيام وأوجب عليكم فريضة

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهذا فيه تنبيه أن من قبلنا أمروا بالصيام ، كان الصيام معروفاً في الأمم السابقة في الرسائل السابقة .

قال : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وهذه ثمرة عظيمة للصيام؛ وهي أن الصائم يفوز وينال بصيامه تقوى الله ، فهو يثمر نيل تقوى الله جل وعلا ، يعين على كل خير ويحجز عن الرذائل والشُرور كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((الصيام جُنة)) يستجن به من النار ، من سخط الله ، من المعاصي والآثام .

قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لعلمكم تفوزون بأدائكم لهذه الطاعة وقيامكم بهذه العبادة بالتقوى التي هي أساس كل خير وفلاح وسعادة في الدنيا والآخرة .

قال : ((ودليل الحج)) وهو الركن الخامس من أركان الإسلام ، والحج: هو قصد مكة لأعمالٍ مخصوصة في أوقاتٍ مخصوصة ، وهو فريضة على العباد في العمر كله مرةً واحدة . الصلاة في اليوم واللييلة خمس صلوات ، والزكاة ليست على كل أحد وإنما من يبلغ ماله النصاب إذا حال عليه الحول ، والصيام في شهر رمضان في كل سنة شهرٌ واحد ، والحج في العمر كله مرة واحدة أيضاً في حق المستطيع ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

وبهذا تعلم أن الدين دين يسر ، لا عنت فيه ولا مشقة ، مثل ما مر معنا في الآية الكريمة ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، بُعث بالحنيفية السمحة ، قال : ((إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)). فهذه فرائض عدها النبي ﷺ مرة لأحد الأعراب ؛ سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الفرائض فعدَّ عليه هذه الفرائض فأمسك الأعرابي بيده وقال : «لا أزيد عليها ولا أنقص»؛ يعني سأحافظ على هذه الفرائض ولا أزيد عليها ولا أنقص ، قال عليه الصلاة والسلام : ((أفلح إن صدق)) ، وفي رواية : ((دخل الجنة إن صدق)) يعني إن مسك هذه الفرائض وحافظ عليها دخل الجنة . ففرائض الإسلام هي هذه ومباني الإسلام التي عليها بينى . ولهذا ينبغي على المسلم هذه الخمس التي هي مباني الإسلام أن يحافظ عليها أشد المحافظة ، وأن يربحها أشد الرعاية ، وأن يجاهد نفسه على أن يكون من أهلها إلى أن يتوفاه الله تبارك وتعالى ، مسك بيده وقال : «والله لا أزيد عليها ولا أنقص» يعني تأكيد للمحافظة على هذه الفرائض .

مرةً -وهذا أورده ابن كثير في تفسيره وجوّد إسناده- جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقطع مفاوز ومسافات إلى أن وصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وكان راكباً على بعيره ، فلما لقي النبي عليه الصلاة

والسلام سأل به أَرْسِلَ بِمَ بَعَثَهُ اللهُ ؟ فذكر عليه الصلاة والسلام هذه المباني -مباني الإسلام- ، فالرجل كان فوق البعير قال : «أقررتُ» ، لما قال هذه الكلمة ساخت رجل بعيره في حفرة جردان فسقط من البعير على رأسه واندقت عنقه ومات ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((إذا أردتم أن تروا الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم فهذا منهم)) ، وهذا الحديث أورده ابن كثير عند هذه الآية من سورة الأنعام ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، قال عليه الصلاة والسلام : ((قوموا إلى صاحبكم)) وجاء في بعض الروايات أنه قال : ((إني رأيت الملائكة تدس الفاكهة في فيه)) ، ربما كان جائعاً في ذلك الوقت فعُجِّلَ له قراه ، قال : «أقررت» .

ولهذا ينبغي على المسلم أن يقر بهذه الفرائض حقاً وصدقاً وأن يكون من أهلها حقاً وصدقاً ؛ يقر ، يلتزم ، يدعن ، ينقاد ، يحافظ على هذه الفرائض محافظة تامة . هذا رجل أقر ، ومن حين أقر مات لم يتمكن من العمل لكن التزم به فكان من أهل الجنة . ولهذا ينبغي أن يقر الإنسان بهذه الفرائض وأن يُلزم نفسه بها وأن يحافظ عليها محافظة تامة إلى أن يتوفاه الله سبحانه وتعالى غير مغير ولا مبدل .

قال : ((ودليلُ الحجِّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾)) ؛ وتأمل هذه الخاتمة التي خُتِمت بها الآية قال : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وتنبه لهذا ؛ الله سبحانه وتعالى غني عن طاعاتك ، غني عن حجبك ، غني عن صيامك ، غني عن دعائك ، غني عن صلاتك ، لا تنفعه جل وعلا طاعة من أطاع ، ولا تضره معصية من عصى ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥] ، جاء في الحديث القدسي حديث أبي ذر في صحيح مسلم أن الله تبارك وتعالى يقول : ((يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً)) ، فهو جل وعلا غني عن العالمين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ؛ غني عن العباد وغني عن طاعاتهم وعن عباداتهم وعن دعواتهم وعن صلواتهم وعن حجهم وعن صيامهم وعن كل ما يتقربون به إلى ربهم غني عن ذلك . والمعاصي التي يقارفها العباد ويباشرونها لا تضر الله سبحانه وتعالى شيئاً ولا تُنقص من ملكه شيئاً جل وعلا . فالذي يطيع الله ويمتثل أمر الله سبحانه وتعالى طاعته له ، والذي يعصي الله تبارك وتعالى معصيته عليه ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥] .

ولهذا يجب على المسلم أن يأخذ نفسه في هذا الأمر بالحزم والعزم والجد والاجتهاد والمرابطة والمصابرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ، ويأخذ نفسه بالمجاهدة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، وفي هذا كله يطلب عون الله وتوفيقه وتسديده وهدايته ، لأن الهداية والتوفيق بيد الله تبارك وتعالى ، ولا سبيل للقيام بأي من الطاعات إلا بتوفيق الله جل وعلا ؛ فيلجأ دوماً وأبداً إلى الله يرجو منه التوفيق والعون والتسديد والهداية ، ويرجوه العبد ألا يكله إلى نفسه «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين» ، «اللهم لا تكلني إلا إليك» ، يسأل الله دائماً وأبداً أن يكون له مؤيداً وموفقاً ومعيناً ، يقول عليه الصلاة والسلام : ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله)) .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.